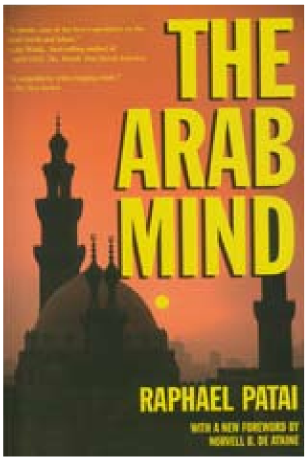

العقل العربي 60

تأليف: رافائيل باتاي

ترجمة: علي الحارس

الفصل الخامس عشر
مسألة الركود العربي

3. إلى أين نمضي من هنا؟

ما أن تم تقبل الحقيقة التاريخية المتعلقة بركود العرب الذي توالت عليه القرون، فإن ما ترتب عليه من آثار متوجبة تعرضت للمواجهة وبذلت جهود لمعاكسة تأثيرات عواقبها. وكانت سبل تحقيق ذلك متنوعة بحسب تخيلات مختلف الكتاب. على أن معظمهم اتفق على أن النسخة التقليدية للإسلام بشكلها القديم كطريقة شاملة للحياة تتطلب التعديل وإعادة التفسير والإصلاح. ودعا بعض الكتاب إلى فصل العلم عن الدين والسعي الحثيث لتحقيق التقدم العلمي من جانب، والتفسير المتحرر للإسلام بفقه يأخذ بعين الاعتبار الحضارة الغربية وأهدافها من جانب آخر. ودعا البعض الآخر إلى الفصل بين الدين والدولة كموقف يؤيده «أغلبية المثقفين المسلمين».[1] وبالطبع، كأفضل مثال نموذجي على تقبل العرب المسلمين لتفكرة غربية حديثة. ويلخص إسحاق الحسيني ذلك بقوله:

> إن المشكلة المركزية التي تواجه اليوم المسلمين العرب، وكل المسلمين في الواقع، هي كيفية إيجاد طريقة جديدة للحياة، إسلامية في شخصيتها، تكون على الوسط بين الشرق والغرب، وتوفر الاستقرار الداخلي الذي يمكن المسلمين من مواجهة مشاكلهم بنحو مستقل. إن بإمكان العالم العربي أن يستعير التقنية من الغرب ولكن عليه أن يجد الأجوبة على مشاكله الأعمق الكامنة في داخله.[2]

---

1) ومنهم، بحسب إسحاق الحسيني: أحمد أمين، علي عبدالرازق، خالد محمد خالد.
2) إسحاق الحسيني: الإسلام في الماضي والحاضر، مقالة في مجلة (مشهد العالم العربي)، أكتوبر 1956، ص171.

www.iraqfuture.net شبكة عراق المستقبل

كافة الحقوق محفوظة لموقع شبكة عراق المستقبل©

الفصل الخامس عشر: مسألة الركود العربي

ومن أعلى الأصوات الناقدة لحال العرب وأكثرها مناداة بالإصلاح كان صوت عبدالله القصيمي. ففي كتابه (هذه هي الأغلال) يبدأ بملاحظة أن «الجهل الاعتقادي قد ضرب على قومنا عقدا فوق عقد»، ويمضي إلى تحليل الأسباب التي أدت إلى التخلف الحالي للعرب بخاصة والمسلمين بعامة؛ فيرى أن السبب الأساسي هو «المكانة المنخفضة للإسلام في كافة مجالات التقدم الإنساني»، وهذا «يمتد إلى الحالة البئيسة للفرد المسلم مقارنة بالفرد المسيحي في أي بلد تعيش فيه هاتان الجماعتان جنبا إلى جنب». ثم يعترف بأن «الجمود الثقافي» لدى العربي المسلم لا يمكن الخلاص منه إلا بقبول نفوذ الأجنبي (الغرب) وتدريبه. كما يلاحظ أيضا أن أكثر الدول العربية انعزالا عن العالم الخارجي، وهي اليمن، تتبوأ أيضا منزلة الدولة العربية الأكثر تخلفا، في حين أن أكثرها تقدما هي أكثرها اتصالا بأوروبا. أما إنسانية العرب فيرى القصيمي أنها من نوع «مدقع، محبط، جاهل، ضعيف»، وليست من النوع «المتقدم، الناجح، المتعلم، القوي» السائد في الغرب. ويعيب القصيمي على العرب والمسلمين التزامهم طيلة ألف سنة بالمبدأ القائل بأن الإنسان لم يخلق لعظمة قادمة وإنما لجسم وعقل لا فكاك من ضعفهما، وبهذا يكون «الركود فيه مرضاة لله»؛ وبالعكس من هذه التعاليم القديمة، يقول القصيمي بأن التاريخ يخبرنا بقدرة الإنسان على تحقيق التقدم، وأن الغرب والشرق كليهما يملكان هذه القدرة، لكن الشرق أهمل إمكاناته الإنسانية الخفية واستمر في سباته، بينما «أدرك الغرب إمكاناته المادية والفكرية». ويرى القصيمي أن العرب والمسلمين لا يمكنهم الخروج من هذا الخمول والتقدم نحو امتلاك قوة سياسية متعاظمة إلا من خلال قلب موقفهم التقليدي الذي ينظر إلى الماضي باعتباره عملية انهيار مستمرة بدأت بعد العهد النبوي المجيد وصولا إلى الحاضر المؤسف، وفهم أن مسيرة الإنسان عبر هذه الحياة لم تتوقف عن مضيها المتسارع أبدا نحو التقدم.[1]

1) عبدالله القصيمي: هذه هي الأغلال؛ ص12-70.

www.iraqfuture.net شبكة عراق المستقبل

كافة الحقوق محفوظة لموقع شبكة عراق المستقبل©

الفصل الخامس عشر: مسألة الركود العربي

عمر فروخ كاتب عربي آخر شعر بأنه وقع على بيت الداء في مشكلة التخلف العربي؛ وعنوان كتابه «عباقرة العرب في العلوم والفلسفة» يشير إلى نية فروخ بتمجيد عباقرة العرب. وهذا الأمر يضيف مزيدا من الأهمية التقليدية إلى ما يود قوله عن «التخلف» العربي. وفي الكتاب ناقش فروخ الإسهامات العظيمة للعرب في مجالات علم الكلام والرياضيات والعلوم الطبيعية وفرعين من الفلسفة: «العقلية والاجتماعية». لكن، ولما يلي أهمية حاسمة في اعتباراتنا الحالية، لم يكن أحد من العلماء والفلاسفة العرب العظماء الذين وردوا في الكتاب قد عاش بعد القرن الرابع عشر؛ لذلك فإن من يقرأ كتاب فروخ يتولد لديه انطباع بأن عباقرة العرب، موضوع الكتاب، انقرضوا بدءا من سنة 1400 تقريبا.

وفوق ذلك، جاءت خاتمة الكتاب، والتي حملت عنوان «ماض رائع، ولكن...»، لينجر فيها فروخ إلى مناقشة تخلف العرب؛ فبدأ بالتشديد على أن «الأثر الأعظم للعبقرية العربية» يتمثل في حقيقة أن «العرب لوحدهم من بين الأمم استمروا على حالهم في جميع المجالات، وفي أي جهة قصدوا». ثم يقارن حالهم بالجنس الآري الذي تفرع إلى الإغريق في اليونان، واللاتين في إيطاليا، والفرنسيين في بلاد الغال، والانكليز في بريطانيا. يتطرق بعدها فروخ إلى قضية التخلف العربي في العصر الحديث، فيقول بأنه بينما «يتفوق حال العرب اليوم بنحو ما على حالهم قبل خمسين أو مئة عام»، فلا مفر من الحقيقة التي تقول بأن «المقارنة مع الشعوب الأخرى ينتج عنها بأننا لم نحرز أي تقدم، بل إننا نستمر بالتخلف». ويعلل فروخ سبب التخلف هذا بالتشبث العربي المستمر «بالنحو والخطابة، والفقه والتصوف»، في حين تقدم الأوروبيون إلى عصر «الغارات الجوية، والصواريخ، والاستعمال الدوائي للبنسلين؛ وهذا مما لا يمكن تبريره أو غفرانه»؛ إنه، بعبارة أخرى، يعزو تخلف العرب إلى تركيز العرب على دراساتهم التقليدية في علمي اللغة والكلام، في حين يكون التركيز الغربي على التقدم التكنولوجي؛ كما إنه يعزو سبب «تخلفنا الحقيقي» إلى وجود تلك المؤسسات في الدول العربية، والتي...

www.iraqfuture.net شبكة عراق المستقبل

كافة الحقوق محفوظة لموقع شبكة عراق المستقبل©

الفصل الخامس عشر: مسألة الركود العربي

تحمل اسم مقاعد التعليم. لكن الغرض الحقيقي منها كان إبعاد العرب عن أي تعليم متين مثمر، والاقتصار على التزويد بالمواد النظرية المفصلة التي لا فائدة منها وإن استوعبها الجميع... وفي الوقت ذاته كنا محجوبين عن العلوم والفنون الأهم والأنفع التي تدور بها عجلة الحضارة والمجتمع، والتي تُدرَّس في الغرب حتى في المدارس الابتدائية.

ويرى فروخ أن المعايير ذاتها التي يستمر العرب «في استخدامها لتقييم الحياة... قد وضعت في أيدينا كي نستمر منشغلين ومنعزلين عن القيمة الحقيقية للحياة المعاصرة». ويقترح فروخ علاجا لهذه الحالة المزرية يتكون من جانبين: أولا، «على العرب أن يسلكوا الطريق الذي سلكه أسلافنا للوصول إلى النقطة التي وصلوا إليها. والسلَّم الذي ارتقوه في سبيل تأسيس موقعهم في حلبة العبقرية هو نفسه الذي يجب أن نرتقيه»؛ وثانيا، على العرب أن يتعلموا التكنولوجيا الغربية.[1]

1) عمر فروخ: عباقرة العرب في العلوم والفلسفة؛ ص155-158.

www.iraqfuture.net شبكة عراق المستقبل

كافة الحقوق محفوظة لموقع شبكة عراق المستقبل©